

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح رياض الصالحين

شرح حديث أَسَمَةُ بْنُ زِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : "يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَلْقَى فِي النَّارِ فَتَنَدَّلُ أَفْتَابُ بَطْنِهِ .."

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فلا زال الحديث عن باب تغليظ عقوبة من أمر بمعرفة أو نهى عن منكر وخالف قوله فعله، وتحدثنا على جملة من الآيات التي صدر بها المؤلف سرحه الله - هذا الباب.

ثم ذكر حديث أَسَمَةُ بْنُ زِيدَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - ، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول: ((يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَلْقَى فِي النَّارِ فَتَنَدَّلُ أَفْتَابُ بَطْنِهِ ...))^(١)

وقوله - عليه الصلاة والسلام - : "يُؤْتَى بِالرَّجُلِ" هذا مفهوم لقب لا حجة فيه، أي: أنه لا فرق بين الرجل والمرأة في ذلك، فالمرأة التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ولا تمتثل، داخلة في هذا الوعيد.

يقول: ((يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَلْقَى فِي النَّارِ فَتَنَدَّلُ أَفْتَابُ بَطْنِهِ))، أي: تخرج، وأفتاب البطن المقصود بها: الأمعاء، وهي جمع قُتْبٍ، فتخرج أمعاؤه، فيدور بامعائه كما يدور الحمار في الرحمى، والرحمى هو الحجر الكبير الذي يطحن به الحب، ويربط بحمار، ويطرح هذا الحجر على حجر آخر أملس فيوضع الحب في نحو حوض أو ما أشبه ذلك، فيدور هذا الحجر الكبير الذي يجره الحمار حتى يطحن هذا الحب، كما يدور الحمار في الرحمى، فيدور على أمعائه، وتكون هذه الأفتاب قد خرجت من البطن، وأقتب منها مما يتصل به، كأنه ذلك الحبل الذي ربط بالحمار، فيدور بالرحمى بهذه الصورة البشعة، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟، وهذه النار التي يجتمع أهلها ربما تكون هي نار الموحدين، أي: من المسلمين، فهم يعرفون هذا الإنسان كان آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، ويحثهم على طاعة الله - عز وجل - ، فكانوا يظنون أنه من الناجين لما يرون من حسن مقاله ودعوته إلى الخير، فلما رأوا حاله بهذه البشاعة سأله و قالوا له: ما الذي أورنك هذه الموارد؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟، فيقول: ((بلـ، كنتـ آمراً بالمعروفـ ولاـ آتـيهـ، وـأنـهـيـ عنـ المنـكـرـ وـآتـيهـ)).

وهذا الحديث يدل على وعيد من خالف قوله فعله، إذا تباهنت الأقوال والأفعال، وصار الإنسان يتكلم بما لا يعمل فهو متوعّد بهذا، ولكن الأعمال على مراتب، أما الواجبات فإنه لا يجوز للإنسان أن يتتركها بحال من الأحوال، والمحرمات لا يجوز للإنسان أن يقارفها، وأما المندوبات فهي أنواع كثيرة جداً، ولا يستطيع الإنسان أن يفعل كل المندوبات، وكذلك قد لا يستطيع أن يترك جميع المكرمات، لكنه يأمر بطاعة الله - عز وجل - مطلقاً من الواجبات والمندوبات، وينهى عن المنهيات، سواء كان ذلك من قبيل المنهي للحرم، أو

١- أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعله، (٤/٢٢٩٠)، رقم: (٢٩٨٩).

كان من قبيل المنهي للكراهة، ويكون النهي عن المكرهات من باب الاستحباب، فالمقصود أن مثل هذه الأمور بمجموعها لا يستطيع الإنسان أن يحيط بها، فالذى يظهر -والله تعالى أعلم- أن هذا المتوعَّد بهذا الوعيد هو الذي ترك الواجب أو فعل المحرم، وكان يأمر به أو ينهى عنه، والناس في هذه القضية على مراتب متعددة، فأكمل المراتب وأعظمها هو الذي يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويتجنبه، وهذا هو الكمال.

والمرتبة التي تحته هو من يفعل المعروف لكن لا يأمر به، ويترك المنكر لكن لا ينهى عنه، وهذا حال كثير من المسلمين، لا يجرئ، فتراه يجبن أو يستحيي أو يخجل.

والمرتبة الثالثة وهو الذي يأمر بالمعروف لكن لا يفعل، وينهى عن المنكر ويفعل المنكر.

والمرتبة الرابعة هو الذي لا يأمر بالمعروف ولا يفعل المعروف، ولا ينهى عن المنكر ويفعل المنكر.

والمرتبة الخامسة وهي أسوأ هذه المراتب هو الذي ينهى عن المعروف ولا يفعل المعروف، ويأمر بالمنكر ويفعل المنكر، هؤلاء هم الشياطين، الشياطين الذين يضلون الناس، من شياطين الإنس والجن، لا يحبون طاعة الله -عز وجل-، وينكرون على من فعل ذلك، ويعيقونه، ويلمزونه، وما يتزكون طریقاً یستطیعون به صرفه عن طاعة الله -عز وجل- إلا فعلوه، كما قال تعالى: **{أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَدَا إِذَا صَلَى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمْرَ بِالنَّقْوَى}** [العلق: ٩-١٢]، فهذا شر المراتب، والمقصود أنه ليس لأحد أن يفهم من هذا الحديث، أو من الآيات السابقة قوله تعالى: **{إِنَّمَّا رُونَانَ النَّاسَ بِالْبَرِّ وَتَسَوَّنَ أَنفُسَكُمْ وَإِنَّمَّا تَتَّلُّونَ إِلَيْكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}** [آل عمران: ٤٤]، أنه إن لم يكن ممتنلاً في نفسه فلا يجوز له أن يأمر و ينهى، ليس كذلك، بل الأمر والنهي واجب، والفعل والامتثال واجب، فإذا ضيع واجباً فلا يحق له أن يضيع الواجب الآخر، فيكون بذلك مستجماً لأنواع من التقصير، فالذى يأمر وينهى ولا يمتثل أحسن من الذى لا يأمر ولا ينهى ولا يمتثل، فلابد أن يفهم هذا الحديث على وجهه، وكل إنسان لا يخلو من تقصير.

إذا لم يعظ الناسَ منْ هو مذنبٌ ** فَمَنْ يعظُ العاصِينَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ؟!

صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال بعض السلف -رضي الله عنهم- لمن اعترض عن الأمر بالمعروف والدعوة أو عن وعظ الناس لأنه مقصر قالوا: ود الشيطان لو ظفر منكم بهذه، فمن الذي يكون مستجماً لأوصاف الكمال؟!، لو كان كل إنسان لا يتكلم في شيء من البر وطاعة الله -عز وجل-، ويحث الناس على هذا إلا أن يفعله فمعنى ذلك أن الناس يبقون في جهالة، وهذا غير صحيح، و((ال DAL علی الخير كفاعله))^(٢)، والإنسان قد يفتح له في بعض الأبواب من طاعة الله -عز وجل- بعد الالتزام بالواجبات وترك المحرمات، ولا يفتح له في أبواب أخرى من البر، ولكنه يحث الناس عليها، ويبين فضلها، ويدعوهم إلى ذلك فيكون مأجوراً، فإن امتنع أحد بناء على ما سمع فإنه له كأجره.

هذا خلاصة ما يمكن أن يقال في هذا الباب.

٢- أخرجه أبو داود، أول كتاب الأدب، باب في الدال على الخير كفاعله، (٤٤٧/٧)، رقم: (٥١٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، رقم (١٠٨).

وأسأل الله -عز وجل- أن يعيننا وإياكم على أنفسنا، فنأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، ونمنتل أمر الله - تبارك وتعالى-، ونجترب نهيه وما يسخطه، وصلى الله على نبينا محمد، وآلـه وصحبه.